كتابُ المؤتمرِ العلميِّ الدوليِّ الرابِعِ

لكليةِ الدراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ للبنين بالقاهرة

اللُّغةُ الأمُّ والانتماءُ الوطنيُّ

المنعقدُ في يومِ الثلاثاءِ:

١٤ مارس ٢٠٢٣م ـ ٢٢ شعبان ١٤٤٤هـ

رئيس المؤتمر

أ. د/ رمضان محمد محمود حسان

عميد الكلية

الأمين العام

أ. د/صبحي عبد الفتاح السيد ربيع

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

المقرر العام

أ.د/ عبد التواب محمد عثمان

الأستاذ المساعد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم
١٣
٤٣
شيخ عزيز فوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة رئيس المؤتمر

الحمدُ لله الذي جعلَ العربيةَ لغةَ كتابِهِ العظيمِ، ووعاءَ شرعِهِ القويمِ، والصلاةُ والسلامُ على أفصحِ من نطقَ بالضادِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ، ومَن تبعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

وبعدُ،،،

فإنَّ لغةَ أيِّ أمةٍ منَ الأممِ تُعدُّ وعاءَ ثقافتِها، ومرآةَ نهضتِهَا، وذاكرةَ تاريخِهَا فهيَ مادةُ التوثيقِ التي تَضْمَنُ البقاءَ لفكرِ وثقافاتِ الأممِ، ومصداقُ هُوِيَّتِها، ومما يؤكدُ ذلكَ أنَّ بقاءَ الأممِ مرهونٌ ومرتبطٌ ببقاءِ لغتِها، وانقراض اللغةِ سببٌ مؤدٍ إلى زوالِ الأمةِ المُتَحَدِّثةِ بهذه اللغةِ، فلا بقاءَ لأمةٍ يتخلَّى أهلُها عن لغتِها، فهيَ العاملُ الحاسمُ الذي يُشكِّلُ هُوِيَّة الإنسانِ، ويُضْفِي على المجتمعِ طابعَه الخاص، يقولُ الرافعيُّ رحمَهُ اللهُ: (مَا ذلَّتْ لغةُ شعبٍ إلاّ ذَلّ، وَلا انحطّتْ إلاّ كان أمرُهُ في ذهابٍ وإدبارٍ).

ولا يشكُّ عاقلٌ في أنَّ الاهتمامَ باللغةِ القوميةِ يُعَدُّ مؤشرًا من مؤشراتِ الاهتمامِ بالقوميةِ ذاتِهَا، وذلكَ لِأَنَّ اللغةَ تظلُّ دائمًا وسيلةَ التعبيرِ عمَّا يدورُ في النفسِ البشريةِ، وعنِ الوعيِ الجماعيَّ للأمةِ، وذلكَ يَكشفُ ويشيرُ إلى الهُوِيَّةِ، ويُظهِرُ وحدةَ الهدفِ، وترابطَ أبناءِ الوطنِ في النهوضِ بأوطانِهِم عن طريقِ وحدةِ صفوفِهِم وأهدافِهِم وفكرِهِم على تنوعِ مجالاتِهِم وسُبُلِهِم.

من هنا جاء مؤتمرُ كليتِنا العامرةِ للكشفِ عن أهميةِ لغتِنَا، وللإسهامِ في تعزيزِ الانتماءِ الوطنيِّ لدى الشبابِ من خلال ترسيخِ أهميةِ اللغةِ الأمِّ في حياتهم، وهو بعنوان: (اللغةُ الأمُّ والانتماءُ الوطنيُّ).

وتدورُ محاورُ المؤتمرِ حولَ سبعةِ محاورَ رئيسةٍ:

المحور الأول: عَلاقة اللغةِ الأمِّ بالانتماءِ الوطنيِّ.

المحور الثاني: دور التعليمِ قبلَ الجامِعِيِّ في تحقيقِ الانتماءِ الوطنِيِّ من خلالِ اللغةِ الأمِّ.

المحور الثالث: دور الإبداعِ الأدبيِّ في ترسيخِ الانتماءِ الوطنِيِّ من خلالِ اللغةِ الأمِّ.

المحور الرابع: دور الإعلامِ في ترسيخِ الانتماءِ الوطنِيِّ من خلالِ اللغةِ الأمِّ.

المحور الخامس: دور الإبداعِ البلاغِيِّ، وأثره في ترسيخِ الانتماءِ الوطنِيِّ من خلالِ اللغةِ الأمِّ.

المحور السادس: الدراسات اللغوية وأثرها في ترسيخِ الانتماءِ الوطنِيِّ من خلالِ اللغةِ الأمِّ.

المحور السابع: الدراسات الشرعية وأثرها في ترسيخِ الانتماءِ الوطنيِّ من خلالِ اللغةِ الأمِّ.

وقد تَقَدَّمَ للمشاركةِ في هذا المؤتمرِ ما يزيدُ على الثمانينَ بحثًا، وبعدَ أنْ خضعت للتحكيمِ والتقييمِ السِرِّيِّ من قِبَلِ اللجنةِ المختصةِ، قُبِل منها خمسةٌ وخمسون بحثًا، ينتمونَ إلى ثلاثَ عشرةَ دولة، وقد جاءت الأبحاثُ متنوعةً شاملةً لجميعِ محاورِ المؤتمرِ السبعةِ، وقد تَمَّ توزيعُ هذه البحوثِ على ستِّ جلساتٍ موزعةً على ثلاثِ قاعاتٍ.

هذا وَيُعَدُّ هذا المؤتمرُ المباركُ تجسيدًا لاهتمامِ الكليةِ وجامعةِ الأزهرِ باللغةِ الأمِّ لغةِ القرآنِ، وبالانتماءِ الوطنيِّ.

واللهَ نسألُ أنْ يوفقَنا لتحقيقِ الانتماءِ الوطنيِّ من خلالِ اللغةِ الأمِّ

وَصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ على سيدِنَا محمدٍ وَعَلَى آلِهِ وصحبِهِ وَسَلَّمَ

رئيس المؤتمر وعميد الكلية

أ.د/رمضان محمد محمود حسان

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة معالي الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن الضويني
وكيل الأزهر

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلّمه البيان، وأنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فكشف لعباده عن الصراط المستقيم وأبان، والصلاة والسلام على محمد العدنان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

فضيلة الأستاذ الدكتور/ سلامة داود رئيس جامعة الأزهر.

فضيلة الأستاذ الدكتور/ عباس شومان وكيل الأزهر الأسبق.

فضيلة الأستاذ الدكتور/ نظير عيّاد أمين عام مجمع البحوث الإسلامية.

السادة نوّاب جامعة الأزهر، السادة ممثلو وزارة الأوقاف المصرية، العلماء الأكارم، الحضور الكرام، السيدات والسادة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يطيب لي في البداية أن أعرب عن سعادتي لمشاركتي في هذا المؤتمر البكري الراقي، ويسعدني أن أهدي حضراتكم تحيات فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر، ورجاءه الصادق لهذا المؤتمر أن يخرج بتوصيات عملية تظهر ثمراتها الطيبة في ألسنة أبنائنا، وفي مناهج تفكيرهم، وفي تأصيل هويتهم، وانتمائهم لأوطانهم.

الحضور الكريم، إن اختيار كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة لموضوع مؤتمرها (اللغة الأم والانتماء الوطني) اختيار موفق؛ فإننا ندرك أهمية اللغة، وما يمكن أن توصله في العقول والأذهان، للحب والانتماء للوطن، وخاصة في ظل هذه المحاولات المستميتة التي تسعى لتغريب شبابنا من ناحية لغتنا العربية، وَطَمْسِ هُوِيَّتِنَا الإسلامِيَّةِ، وإنَّ من فضلِ اللهِ على هذِهِ الأمةِ أن مَيَّزَهَا بأعظَمِ هُوِيَّةٍ، وَأَجَلِّ عقيدةٍ، وأفصحِ لسانٍ، والمحافظةُ على الهُوِيَّةِ واللغةِ مطلبٌ شرعِيٌّ، وواجبٌ دينيٌّ، ومسؤوليةٌ مجتمعيةٌ.

العلماء الأكارم، إذا كانتِ اللغةُ العربيةُ أحدَ أركانِ هُوِيَّةِ الأمةِ فإنَّ المحافظَةَ عليهَا من الدينِ، وبهذا قالَ العلماءُ، يقولُ السيوطِيُّ – رحمَهُ اللهُ-: " وَلا شَكَّ أنَّ عِلْمَ اللغَةِ مِنَ الدينِ، فإنَّهُ مِنْ فُروضِ الكِفَايَاتِ، وَبِهِ تُعْرَفُ معانِي أَلْفَاظِ القرآنِ والسنةِ"، فهذه عَلَاقَةٌ وثيقةٌ بينَ اللغةِ والدينِ من جهةٍ، وبينَ اللغةِ والهُوِيَّةِ من جهةٍ أخرَى، لا يمكنُ الفصلُ بينهُمَا بأيِّ طريقٍ، ومِنْ ثَمَّ، فإنَّ الواجِبَ على كلِّ مسلمٍ أنْ يذُودَ عنِ اللغةِ بقلبِهِ، إيمانًا بهَا، وبلسانِهِ تعلمًا ونطقًا لحروفِهَا وبلاغَتِهَا، وأن يُزَوِّدَ نفسَهُ ما استطاعَ منَ الثقافَةِ العربيةِ والإسلاميَّةِ، وأن يعلَمَ أن تَدَيُّنَهُ وثقافَتَهُ هيَ أساسُ هُوِيَّتِهِ وانتمائِهِ، ومن تمامِ الوعيِ أنْ يَتَفَطَّنَ إلى الهجماتِ الشرسةِ التي تَتَرَصَّدُ لِلُّغةِ والدينِ والهُوِيَّةِ، وَيَعمْلَ على صدِّهَا، وَإِنَّ إحدى أدواتِ العولمةِ تلك الهيمنة التي تعملُ على إيجادِهَا أجنداتٌ مموّلةٌ ذاتُ أغراضٍ مشبوهَةٍ، وإنَّ هذه الهيمنةَ اختراقٌ واضحٌ لخصوصياتِ الشعوبِ وثقافاتِهَا، وانطلاقًا منَ الأمانَةِ الملقاةِ على عاتِقِ الأزهرِ للمحافظَةِ على اللغةِ والهُوِيَّةِ والدينِ، فإنَّ جامعةَ الأزهرِ وضعَتِ اللغةَ العربيةَ في مكانَةٍ متقدّمةٍ في أجندتِهَا، فَتَمَّتَ برامج، وخطط تُنَفَّذُ؛ لتعزيزِ مكانَةِ لغتِنَا العربيةِ، في مختلفِ مجالاتِ الحياةِ، وعلى وجهِ الخصوصِ التعليمُ والإعلامُ؛ نظرًا لِمَا يُمْكِنُ أنْ يقومَ بهِ التعليمُ والإعلامُ من دَوْرٍ كبيرٍ في مجالاتِ التربيةِ والتثقيفِ، وهذا يؤكدُ الحرصَ الشديدَ والاهتمامَ الكبيرَ الذي تُبْدِيهِ الدولَةُ ومؤسساتُهَا المعنِيَّةُ باللغَةِ والهُوِيَّةِ، فالمحافظَةُ على اللغَةِ والهُوِيَّةِ تَقَدُّمٌ وحضارَةٌ، والمحافظَةُ على اللغَةِ والهُوِيَّةِ عقيدةٌ وإيمانٌ وإحسانٌ.

إن اللغة تحمل هموم متكلميها، وتُسهم في تنظيم سلوكهم وتفاعلهم وتعبيرهم عن مشاعرهم، فقيمتُها ليست محصورةً في طبيعتها فقط، فهي أكبر من مجرد أداة للتواصل والبيان، بل في قدرتها على تجسيد وتصوير الثقافة اللسانية وفكرها، وكونها جامعة بين

التعبير عن الإبداع ونقل المعرفة وإنتاجها، ولو علمت الشعوب أهمية اللغة ومركزيتها في هويتهم ما تركوها تتفلت من بين أيديهم، ومن هنا كان أحد أهم مجالات الصراعات المعاصرة الصراع اللساني، والكلام عن الصراع اللساني ليس من قبيل المبالغة أو التهوين، فاللغة هي أحد أهم مكونات الهوية، ومن أهم العوامل في مختلف الحضارات والثقافات، ومن أول ما يعنى الغزاة المحتلون بمحوها، ومن ثمّ، فإن الصراع صراع وجود وهوية، وإذا تأملنا العالم من حولنا وجدنا بلادًا واجهت الاحتلال بالتمسك بلغتها، وجماعات أحيت لهجات ميتة واعتزت بها، فصارت من أدوات قوتها، ونجد في مقابل ذلك أناسًا يقومون عن عمدٍ، أو عن جهلٍ بقتل لغة حيّة، وإنني لم أقف هذا الموقف لأتكلم عن اللغة العربية وخصائصها فهذا مما لا يخفى على حضراتكم، ولكنني أُبْدِي أَسَفًا وَأَمَلًا!

أما الأسفُ: فمما نراه من غياب الفصاحة العربية عن ألسنة أبنائها الذين شُغِلُوا عنها بغيرها من اللغاتِ واللهجاتِ، والذين يَعُدُونَ الزَجَّ ببعضِ كلماتٍ أعجميةٍ في الحديثِ من علاماتِ التَّحَضُّرِ والرُّقِيِّ، وأرجو أن تَتَبَنَّى كلياتُ اللغةِ العربيةِ وأقسامها بناء مقياس متقنٍ يحدد درجة حضور اللغة ومفرداتها على ألسنة الباحثين وطلابِ العلمِ، ويكون من الواجب في ضوء هذه النتائج، وربما ظن البعض أن هذه المسألة أصغر من الانشغال بها، ولكنّ المشكلة ليست في استعارة بعض ألفاظ من لغات أخر، وإنما الأسى من أن يدور في فم المتكلم العربي لسان غيره، وأخشى أن يسكن دماغَهُ عَقْلُ غَيرِهِ، وإني لأرجو أن يشعر هذا المستعير بنشوة وتميز حين ينطق بالفصحى كما يشعر بنشوة كاذبة، وتميزٍ خادع حين يزج في حديثه بين الحين والآخر ببعض ألفاظ اللغات الأعجمية، وإن الأمر لا ينتهي عند حد استعارة الألفاظ، فإن الألفاظ تحمل معها المعاني، وتنقل السلوك، ويخشى حين يعتاد المتكلم هذا أن يصبح نسخة مختلطة فلا هو اعتز بلغته فأجراها على لسانه، ولا هو أَتْقَنُ

لهذه الكلمات المستعارةِ من غيرِهِ، وحتى لا يظنّ أحد أنني رافضٌ أو معاندٌ لتعلمِ اللغاتِ، فإنني أرجو للأمة كلِّهَا أن تكون على دراية واطلاع وإحاطة بكل لغات العالم، لكن ليس على حساب لغتنا.

وأما الأمل: فإنني أُأَكِّدً أن لغتنا العربية ما زالت بخير رغم ما تعانيه من محاولات بائسة لإضعافها، فاللغة تحمل داخلها سرّ بقائها، فهي لغة القرآن والدين.

إن اللغة فضــلًا عن كونها أحد مكونات الهوية فإنها مفتاح علوم التراث، ولقد أدرك علماؤنا وفقهاؤنا أنه لا غنى لعلم من العلوم عن اللغة العربية، وفي هذا يقول الإمام الزمخشري- رحمه الله- في بيان فضل العربية: "لا غناء في علم من علوم الشريعة عنها، ذلك أنهم لا يجدون علمًا من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وتفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بيّن لا يدفع، ومكشوف لا يتقنّع"، ويقول الشاطبي- رحمه الله: "على الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولًا وفروعًا ألّا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيًا، أو كالعربيِّ في كونه عارفًا بلسان العرب بالغًا فيه مبالغ العرب"[1]

وإذا استعجمت الألسنة صارت العلوم غريبة عن أهلها، وإذا فرّق بين العلوم وأهلها صاروا على موائد الأمم العلمية أضيافًا إن أحسن إليهم؛ لذلك كان إكرام اللغة واللسان من إكرام الأمة، وضعف اللغة واللسان من ضعف الأمة.

يقول الرافعيّ- رحمه الله: " ما ذلّت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطّت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار؛ ولهذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضًا على الأمة المستعمرة ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، ويحكم عليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد: أما الأول: فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبدًا، وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا

ونسيانا، وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها فأمرهم من بعدها لأمره تبع".

والرافعيّ- رحمه الله- حين يكتب هذا الكلام فإنه قد عاصر الاستعمار في بلاد المسلمين، ورأى ما يفعله الغزاة من طمس للغة من يستعمرهم، وإحلال لغته مكانها.

وختامًا: فإن المحافظة على لغتنا وهويتنا مسؤولية دينية ومجتمعية توضع على عاتق الجميع، كلّ في مكان عمله وتخصصه، كلّ في حدود قدراته وإمكاناته؛ لنحافظ على ديننا وعقيدتنا وهويتنا، وما أحوجنا إلى اليقظة والمقاومة لكل محاولات تزييف الهوية، والعمل الجاد على تقوية مناعتنا من خلال الاحتفاء بلغة القرآن، والعناية بها، فهي مفتاح هويتنا، والاعتزاز بها اعتزاز بالهوية، وخدمتها خدمة للدين والوطن.

إن من المفيد حقًّا، وفي ضوء الواقع اللغوي، أن نتأمل هذه التحديات التي تواجه اللغة العربية لنعمل على معالجتها، وأول التحديات الداخلية ما نراه من هزيمة نفسية يعيشها بعض أبناء الأمة العربية، فنجد من ينادي بهجر اللغة الفصحى إلى اللغة العامية بدعوى التسهيل والتيسير، أو من يقدم اللغات الأجنبية على لغة الأم، أو من يرتضي اختراع خليط لغوي عجيب لا نسب له، وكأنهم يظنون بهذا أن التقدم لا يكون إلا بالانسلاخ من اللغة العربية، وكأن هذا اللسان هو السبب في أزمات الحياة المختلفة، وإن من التحديات الخارجية المخنقة حقًّا ما تحمله اللغات الوافدة من عولمة خانقة تريد ابتلاع ثقافة الأمم والشعوب ولغاتها، تظهر ثمراتها في سلوك أبنائنا وتفكيرهم، وهذا الواقع اللغوي يفرض على الأمة العربية أن توجد برامج متنوعة لتجديد اللغة العربية في نفوس أجيال المستقبل؛ لتبقى حيّة متوقدة في ألسنتهم وفي أفكارهم بدءًا من المدارس والمؤسسات التربوية،

ومرورًا بوسائل الإعلام المختلفة، ووسائل التواصل الاجتماعي، وغيرها من أدوات التواصل المعاصرة.

واسمحوا لي أن أقترح بعض التوصيات والأفكار التي أرجو أن يتجاوز صداها هذا المكان لتكون واقعا بيننا وفينا.

وأولها: أن ينطق الدبلوماسيون العرب باللسان العربي في المحافل الدولية والأوساط السياسية.

وثانيها: أن تفعل التشريعات الخاصة لحماية اللغة العربية والنهوض بها مما يجعلها حاضرة في ميادين المعرفة والحياة العامة والأنشطة الفنية والإعلامية.

وثالثها: أن تعمل الدوائر التربوية على إيجاد صيغ وبدائل مرغّبة للنشء في دراسة العربية والتكلم بها.

ورابعها: ضرورة توفر إرادة حقيقية وقرار بآليات تنفيذية تعنى بتعريب العلوم المعاصرة.

وخامسها: أن تصطبغ الرسائل العلمية بالصبغة اللغوية الفصيحة.

حفظ الله مصرنا وأمتنا ولغتنا من كل مكروه وسوء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة معالي الأستاذ الدكتور/ سلامة جمعة داوود

رئيس الجامعة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الحمدُ للهِ الذِي أنعمَ علينَا بنِعَمٍ لا تُعَدُّ ولا تُحصَــى، وجعلَ نعمةَ البيانِ من أوَّلِها وأَوْلَاها وَصَلَّى اللهُ على سيدِنَا محمدٍ النبِيِّ العربِيِّ القرشِيِّ الهاشِمِيِّ أفصــحِ الناسِ بيانًا، وأقواهُمْ لســانًا وإيمانًا، الذِي أُوتِيَ جوامِعَ الكَلِمِ، اللهمَّ صَــلِّ وَسَــلِّمٍ وَبارِكْ عَليهِ وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعينَ.

مَولانا فضيلة الأستاذِ الدكتورِ/ محمد عبد الرحمن الضويني وكيل الأزهرِ الشريفِ.

المنصة الكريمة المنصة المواجهة، الحفل الكريم:

السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته

يطيبُ لي بدايةً أن أهنئَكُم على عقدِ هذا المؤتمرِ، كَمَا أهنئَكُمْ أيضًا على حُسْنِ اختيارِ موضــوعِهِ الذِي اتَّخَذَ مِنَ اللغةِ العربيةِ شِــعارًا ودثارًا، وَجَعَلَهَا ركيزةً من ركائِزِ الانتماءِ الوطنِيِّ، واللغةُ هيَ الوعاءُ الذي يحمِلُ فكرَ الأمَمِ وثقافَتِهَا، والأزهَرُ الشريفُ بقيادَةِ مولَانَا فضــيلة الإمامِ الأكبَرِ الأســتاذ الدكتور/ أحمد الطيب شــيخ الأزهر -حفظَهُ اللهُ تعالَى- لا يزالُ مرابطًا على السهوب الدينيةِ والفكريةِ للأمةِ، حارسًا للغةِ، كاشِفًا لكنوزِهَا وأسرارِهَا، وإذا سُــمِّيتِ اللغةُ في عنوانِ هذا المؤتمرِ بأنَّهَا اللغةُ الأمُّ والانتماءُ الوطنيُّ فإنَّ أُمُومَتَهَا تحتاجُ من كُلِّ ناطقٍ بِهَا ودارسٍ لها، وباحثٍ فيها، وعاكفٍ على معانيها ومبانيها إلى البرِّ بها، وخفضِ الجناحِ لها، والوفاءِ بشــيءٍ من حقِّهَا، مع اليقينِ بالعجزِ عنِ الوفاءِ، ولكن علينَا بالسدادِ والمقاربةِ، كما أَمَرَنَا رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ - فَسدِّدُوا وقارِبُوا، فَكَمْ لها في أعناقِ أبنائِهَا من ديونٍ.

وَعَارٌ على الكريمِ أنْ يموتَ وعليهِ دينٌ، هل يليقُ بمَنْ رَزَقَهُ اللهُ تعالَى نعمةَ النظَرِ فيها، والتدبُّرِ لأسرارِهَا أنْ يتركَهَا دونَ أنْ يُحَلِّيَهَا بقلادَةٍ، أو يضَعَ على صدرِهَا وِسَامًا من فكرِهِ، ونُورًا من قلبِهِ، وَشَذًا من عطرِهِ، وزهرةً من أزاهيرِ بيانِهِ تبوحُ بشيءٍ من محاسِنِهَا، وَسِرٍّ من مكنونِهَا، وَقَبَسٍ من أنوارِهَا.

إنَّ لها في عنقِ كلِّ متحدثٍ بها، متمرسٍ في مبانيهَا ومعانيهَا دَيْنًا يجبُ قضاؤُهُ، وحقًّا يجبُ أداؤُهُ.

فَلْيَسْأَلْ كلٌّ منَّا نفسَهُ ماذا قدمْتَ لَهَا؟ هل تضربُ صفحةَ الدنيَا دونَ أنْ تُضيفَ إلى صفحَةِ اللغةِ سَطْرًا، أو تتركَ لها وديعةً، فتنبئَ بوجودِكَ عن جُودِكَ.

وفي هذه الدقائقِ المعدودةِ أستروِحُ مع حضراتِكُمْ قَبَسًا من فكرِ الإمامِ الجليلِ عبدِ القاهرِ الجُرْجَانِيِّ في مقدمةِ أسرارِ البلاغَةِ؛ لِلنَّظَرِ إلى ما فيه من قُوًى كامنةً، تستثيرُ العقولَ إلى التدبُّرِ.

قالَ مبيِّنًا آثارَ نعمةِ البيانِ على الإنسانِ: " فَلولاهُ لم تكنْ لِتَتَعَدَّى فوائدُ العلمِ عالِمَه، ولا صحَّ مِنَ العاقِلِ أن يَفْتُقَ عنْ أزاهيرِ العقلِ كمائِمهُ، وَلَتَعَطَّلَت قُوَى الخواطِرِ والأفكَارِ من معانِيهَا، واستوَتِ القضيّةُ في مَوْجُودِهَا وَفَانِيهَا، نَعَمْ، وَلَوَقَعَ الحَيُّ الحسَّاسُ في مرتبَةِ الجمادِ، وَلَكَانَ الإدراكُ كالذِي ينافِيهِ مِنَ الأضدادِ، وَلَبَقِيَتِ القلوبُ مُقْفَلةً تَتَصَوَّنُ على ودائِعِهَا، والمعانِي مَسْجُونَةً في مواضِعِهَا، وَلَصَارَتِ القَرَائِحُ عن تصرُّفها معقولةً، والأذْهانُ عن سلطانِهَا معزولَةً، وَلَمَا عُرِفَ كُفْرٌ من إيمانٍ، وَإِسَاءَةٌ من إحسانٍ، وَلَمَا ظَهَرَ فَرْقٌ بينَ مَدْحٍ وَتَزْيِينٍ، وَذَمٍّ وتَهْجِينٍ، ثُمَّ إنّ الوصفَ الخاصَّ به، والمعنَى المثبتَ لنسبِهِ، أنه يريكَ المعلوماتِ بأوصافِهَا التي وَجَدَهَا العلمُ عليهَا، وَيقرِّر كيفياتِهَا التي تتناولُهَا المعرفةُ إذا سَمَتْ إليها".

إذًا في هذا النثر قُوًى كامنةٌ تستثيرُ العقولَ إلى التدبُّرِ، منها:

-أَوَّلًا: أنَّ قيمةَ العلمِ فِي أنْ تَتَعَدَّى فوائِدُهُ عالِمَهُ؛ فالعلمُ لم يُوجَد لِيُكْتَبَ في صدورِ العلماءِ.

فالذي يبخلُ بعلمِهِ عنِ النَّاسِ ما هو بعالِمٍ؛ لِأَنَّ قيمةَ العلمِ في نَشْرِهِ، والإفادَةِ بِهِ، وَعِلْمُ لا يُنْشَرُ كَنْزٌ لا يُنْفَقُ مِنْهُ، ولا يُمْكِنُ أنْ يُتَصَوَّرَ شيءٌ من نشرِ العلمِ والإفادَةِ بِهِ إلَّا عن طريقِ اللغَةِ، فَلَوْلَاهَا - كَمَا قالَ الإمامُ - لم تكنْ لِتَتَعَدَّى فَوائِدُ العلمِ عالِمَهُ، فَلِلْبَيَانِ المِنَّةُ الكبرَى على العِلْمِ، فَلَوْلَا البيانُ لَمَا انتشَرَ علمٌ، وَلَا تَعَدَّى قلبَ العالِمِ وعقلَهُ وفِكْرَهُ.

والعالِمُ الذي لا يَنْشُرُ علمَهُ بَلْ يَكْتُمُهُ لم يؤدِّ شُكْرَ نعمةِ البيانِ التِي أنعَمَ اللهُ تعالَى عليهِ بِهَا؛ فإنَّ لِكُلِّ نعمةٍ شكرًا، فَشُكْرُ الصحةِ والعافيةِ عونُ الضعفاءِ والمرضَى، وإغاثَةُ الملهوفِ، وشُكْرُ المالِ الإنفاقُ منهُ، وشُكْرُ المنصِبِ والجَاهِ قضاءُ حوائِجِ الناسِ، والسعيُ في مصالحِهِم، وشُكْرُ نعمةِ السلطانِ تحقيقُ العدلِ، والسعيُ فيمَا يُصْلِحُ الأمةَ، والقيامُ على حقوقِ الناسِ في نَصْرِ الضعيفِ والمظلومِ وتدبيرِ شؤونِ العبادِ والبلادِ بِمَا فيهِ خيرُهُم وصلاحُهُمْ، وشُكْرُ نعمةِ البيانِ نَشْرُ العلمِ والحقِّ والخيرِ.

- ثانِيًا: إنَّ العقولَ مطويةٌ على ودائعَ جليلةٍ مِنَ المعانِي والمعارِفِ تُشْبِهُ الأزَاهِيرَ في جَمَالِهَا، وَلَكِنَّ هذِهِ الأزاهيرَ لم تَفْتُقْ كَمَائِمَهَا، وَلَم تَرَ النُّورَ بَعْدُ.

والبيانُ هو الذي يَفْتُقُ هذه الأزاهيرَ عَنْ كَمَائِمِهَا لِتَرى النُّورَ، وَتَزْدَانَ بِهَا الحياةُ، وَتُشْرِقَ بِبَهْجَتِهَا.

قالَ الإمامُ: ولا صَحَّ منَ العاقِلِ أنْ يَفْتُقَ عنْ أزاهيرِ العقلِ كَمَائِمَهُ، ثم مَدَّ الإمامُ بيان هذا المعنى فذكَرَ أنَّ القلوبَ فيهَا ودائعُ تحكُمُ الصيانةَ عليهَا، والبيانُ هو الذي يَخْتَلِقُ هذه الصيانةَ؛ لِيَنْفُذَ إلى تِلْكَ الوَدَائِعِ النفيسَةِ فَيُعَبِّرُ عنهَا، وَيُظْهِرُهَا، ووداِئعُ القلوبِ هيَ المعانِي

الجائلَةُ فيها، التي لولا نعمةُ البيانِ لَظَلَّتْ مسكونةً في القلوبِ، ثم ذَكَرَ الإمامُ أنَّ أَوْلَى الناسِ بِشُكْرِ نِعمَةِ البيَانِ هُمْ أصحابُ القرائِحِ، فَلَولا نعمةُ البيانِ لَصَارَتِ القرائِحُ عن تصرُّفِهَا معقولَةً.

والمواهِبُ التي لا حياةَ لها إلا في انطلاقِهَا لِتَسْبَحَ في عوالِمَ شتَّى مِنَ المعانِي، وَتُحَلِّقَ في أفاقٍ رحبةٍ مِنَ الخيالِ هَذه المواهبُ لولَا نعمةُ البيانِ لَكَانَتْ مُقَيَّدَةً بالأغلالِ، مكفوفَةً عَنِ الظُّهُورِ، محجوبَةً عَنِ النُّورِ.

لَولَا البيانُ مَا كانَ شِعْرٌ، وَلَا إبداعٌ، ولا موهبَةٌ، بَل لولَا البيانُ لَبَقِيَتِ الأذهانُ معزولةً عن سلطانِهَا، وسلطانُهَا هو الفكرُ المنتِجُ للمعانِي والمعارِفِ.

فالبيان هو الذي يمكن الأذهان من سلطانها.

ثم يُدخلُ الإمامُ أهميةَ البيانِ في الدينِ فيقولُ: (فلولاها لما عُرف كفر من إيمان، وإساءة من إحسان)، فالبيان هو الذي يعرف الكفر من الإيمان؛ لأنهما مستوطنان في القلوب، ولو شَقَقْتَ عنِ القلوبِ ما عَرَفْتَ ما فيها من كفر وإيمان ومن خيرٍ وشرٍّ، والبيانُ هو الكشافُ الذي يُنِيرُ ما يستقرُّ في هذه القلوبِ من هذِهِ الحقائِقِ العُظْمَى (الشهادتَيْنِ).

فَنُطْقُ الإنسانِ بالشهادتينِ دليلُ إيمانِهِ، وَنُطْقِهِ بكلمَةِ الكفرِ دليلُ كفرِهِ، ولهذا كان الإعلانُ باللسانِ على هذه السريرةِ المعقودةِ في القلبِ هو الركنُ الأولُ من أركانِ الدينِ، وهو شهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وهذه المنقبَةُ للبيانِ هي أعلَى مناقِبِهِ، وأكرَمُ مكارِمِهِ.

- ثالثًا: أنَّ البيانَ صورةٌ صادقةٌ أمينةٌ لِمَا انطَبَعَ في النفسِ مِنَ المعانِي والعلومِ؛ فالكلامُ آلةُ تصويرٍ تُخْرِجُ نسخَةً فوتوغرافيةً لِمَا في النفسِ، وليسَ هناكَ شيءٌ آخر يُضَاهِي البيان في هذه الوضعيةِ، فَضْلًا عن أنْ يقومَ مقامَهُ، أو يسدَّ مسدَّهُ مِنَ الفنونِ بالكشفِ والتصويرِ.

هذه الفنونُ تريدُ أن تصوِّرَ ما في النفسِ ولكنها لا تبلغُ مبلغَ البيانِ؛ لأنَّهَا صامتةٌ، وهو ناطِقٌ مُبِينٌ؛ ولأنها جامدةٌ لا تَصِفُ إلا لقطةً واحدةً، ليس فيها ما في النفسِ والعقلِ من تطورِ المعانِي وَتَرَقِّيهَا، وَبِنَاءِ بَعْضِهَا على بَعْضٍ، فَهِيَ معانٍ حيةٌ متغيرةٌ متطورةٌ ناميةٌ يُخْرِجُهَا البيانُ بهذا التَّطَوُّرِ والنُّمُوِّ والتَّزَايُدِ، ولا تستطيعُ اللوحةُ الزيتِيَّةُ إلا أن تَمْنَحَكَ انطباعًا واحدًا لا يتجددُ، ولا يَتَطَوَّرُ، وَلِذَا كان هذا الوصفُ الخاصُّ بالبيانِ الذي لا يشركُهُ فيه غيرُهُ.

قالَ الإمامُ: ثم (إنَّ الوصفَ الخاصَّ بِه) أي: بالكلامِ والمعنى المثبت لنسبه (أنه يُريكَ المعلوماتِ بأوصافِهَا التي وَجَدَها العلمُ عليها).

إنَّ الألفاظَ ما هي إلا صورٌ ومرايا تعكسُ نبضَ قلبِ المتكلمِ، وحركَةَ نفسِهِ، وكأنَّكَ حين تسمعُ الألفاظَ والعباراتِ التي ينطقُ بها المتكلِّمُ فإنما تسمعُ وترى قلبَ هذا المتكلِّمِ، إلا أنَّ القلبَ لا يتكلمُ، وإنما اللسانُ هو المعبِّرُ عنه، المفصِحُ عن جَهْرِه وهَمْسِهِ، وقد أحْسَنَ الشاعِرُ القديمُ حين صَوَّرَ هذا المَعْنَى، فَقَالَ:

إنّ الكَلاَمَ لَفِي الفُؤادِ وإِنَّمَا جُعِلَ اللسَانُ على الفؤادِ دليلا

وفي الختامِ وحتى لا أتجَاوَزَ الوقتَ المسموحَ، وإنْ كنتُ قد تَجَاوَزْتُ أَخْتِمُ بِلَمْحَةٍ عنِ الجناسِ المُمَاثِلِ في قولِهِ تَعَالَى: (وَيَومَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقسِمُ ٱلمُجرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيرَ سَاعَةٍ) فَـ(السَّاعَةُ) الأولَى يَومُ القيامَةِ، و(الساعةُ الثانيَةُ) فَتْرَةٌ مِنَ الزَّمَنِ، وَلَعَلَّ مِنْ أسرارِ هذا الجناسِ التنبيهَ على أنَّ مرورَ الساعَةِ عليكَ في الدنيَا ينبغِي أن يذكِّرَكَ بالساعَةِ وهيَ يومُ القيامَةِ، التي إذا ذُكِرَتْ كلمةُ ساعَةٍ فينبغِي أنْ يستحضرَهَا الذهنُ، ولا ينصرف عنها؛ لأنها

هي الشاغلُ التي لا يعلو عليها شاغلٌ، فالشبيهُ إلى الشبيهِ منتدبٌ، ففي تسميةِ يومِ القيامَةِ بالساعَةِ تنبيهٌ على استقطابِهَا أمامَ عينَيْكَ كلَّ ساعَةٍ، فما تَمُرُّ بِكَ سَاعَةٌ إلا وَأَنْتَ ذَاكِرٌ لِلسَّاعَةِ واللهُ تعالَى أعلَمُ بأسرارِ كِتَابِهِ.

هذا وأعتذِرُ عنِ الإطالَةِ، وَأَتَوَجَّهُ بالشكرِ لكم جميعًا، وَأَخَصُّ بالشكرِ سعادَةَ الدكتورِ/ محمد منتصر الذي قام بتجهيزِ هذه القاعَةِ.

"والسلامُ عليكم جميعًا ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ"

وَصَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَى سيدِنَا محمدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة معالي الأستاذ الدكتور/ محمود صديق

نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحوث

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد...

فكل عام وحضراتكم بخير بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المعظم، ذلك الشهر الذي نزل فيه خير كتاب بلسان عربي مبين، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان: ٣]، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

نسمع الله سبحانه بقول: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} [الروم: ٢٢]، وقال سبحانه: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} [فصلت: ٤٤]، وقال سبحانه: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٥]، فنزل القرآن بلسان عربي مبين غير ذي عوج.

الشاهد: أن القرآن الكريم حينما نزل، نزل على سبعة أحرف، وتفردت هذه السبعة باحتوائها على كل اللهجات العربية، وكل اللغات السائدة قبل الإسلام.

ولقد أتقن القرآن الكريم وعلومه غير العرب، فنجد أن خمسة من القراء السبع من غير العرب، بداية من الإمام نافع، ثم ابن كثير، ثم ثلاث من الكوفة لم تكن أصولهم عربية وهم: (عاصم والكسائي وحمزة).

ولم يكن منهم من العرب سوى: أبي عامر البصري وابن عامر.

ثم كان لعلماء الحديث من غير العرب فضل على العربية وعلومها، فمنهم الإمام البخاري ومسلم والنسائي وأبو داوود -رضي الله عنهم- وكلهم ليسوا عربًا.

وممن أثروا الفقه الإسلامي الإمام أبو حنيفة -رضي الله عنه.

بل إن من أثرى العربية وعلومها سيبويه الفارسي.

فتعلم غير العرب العربية ودانوا لها بالفضل والولاء وكانت بمثابة الأم، فالعربية انتماء.

العربية لا أخاف عليها، بل أخاف على المنتسبين إليها لما قصروا فيها.

العربية يصلي بها أكثر من ملياري مسلم، ويتحدث بها بطلاقة سبع وستون وأربعمائة مليون إنسان، فهي أكثر اللغات تداولًا بعد اللغة الإنجليزية في المحافل الدولية.

كما أبناء العربية لهم جهود في نشرها، والاعتراف بها كلغة رسمية في العالم، رغم أنها سادت ثمانية قرون من الزمان.

وكانت الجامعات في أوروبا وما زالت تتعلم العربية حتى الآن.

فالعربية لن تنتهي، ولن تضيع فقد حفظها الله تعالى بحفظ كتابه الكريم قال سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

ولقد تم الاعتراف في الثامن والعشرين من ديسمبر عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف -(١٩٧٣م)- باللغة العربية كلغة ثالثة في الأمم المتحدة.

كما أن العربية أكثر اللغات ثراء في عدد الكلمات فمفرداتها حوالي اثنا عشـــر مليونا وخمســـمائة كلمة، بينما الإنجليزية لا تتجاوز المليون، بل مفرداتها حوالي ســـتمائة ألف كلمة.

العربية أثرت في كثير من اللغات كالفارسية، كما أن دولة (كمالطا) في شرق المتوسط سبعين في المائة من مكوناتها عربية.

فالعربية تمثل هويتنا، والمُحْزِنُ أن البعضَ يتفاخرُ بأنَّ أبناءَهُ يتحدثون لغات غير العربية، إنها لغة الإسلام، ولغة القرآن، فكيف بك أن تفخر، وأن تضيع هويتنا.

فلابد أن تكون لنا نهضة وبصمة في الحضارة الإنسانية بأن نُعَرِّبَ علومنا – غير العلوم العربية والشرعية– فهذه دعوى أدعو بها في كل منتدًى يتحدثون فيه عن العربية، فلا بد من تعريب العلوم حتى يستطيع الفرد منا أن يفكر وأن يبدع.

وينبغي أن تصدر توصيات من هذا المؤتمر بتشكيل لجان تقوم على تعريب العلوم غير العربية، كالعلوم التطبيقية، والطبية، وغيرها، حتى لا نستمر في الاستيراد من اللغات الأخرى، بل لابد أن نعود إلى إبداعنا كما كان وسيظل.

"والسلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته"

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.